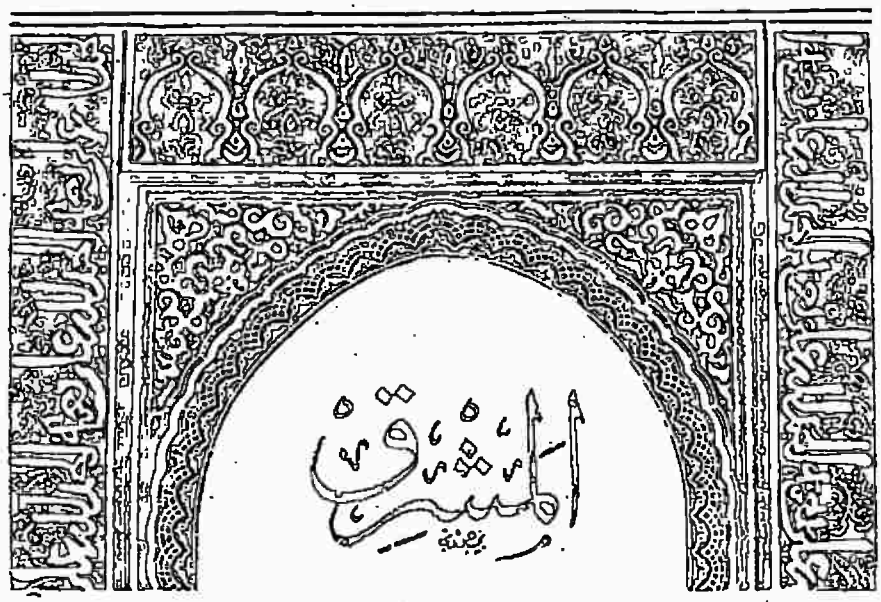

تشرين الاول ١٩٣١

الحفريات الاميريكية

في بيسان

بقلم حضرة الاب ا. س. مرجي الدومنيكي

١

صنع السنة ١٩٢١ جاءت البعثة الاميريكية ، بعثة متحفة جامعة بنسلفانية ، للتنقيب في بيسان. وكان رئيسها في السنتين الاوليين الدكتور فيشر ، وكان معاوناً له الاستاذ رو (Rowe) . ولما استقال الاول من الادارة ، خلفه فيها معاونه المذكور ؛ ولم يزل قائماً بهذه المهمة حتى اليوم بنشاط لا يعرف الملل ، وباقتدار علمي منقطع النظير. وقد وضع حضرة العلامة مدير هذه البعثة كتاباً نفيساً بالانكليزية بسط فيه ما انتجته الحفريات ، مدة هذه السنين ، آخذاً باطراف البحث من الجهة التاريخية والاثرية. وزيادة في الافادة ، وطبقاً للنمط العلمي الحديث ، قد اشفع الدرس

بمختلف الرسوم الممثلة المواقع والاشياء المكتشفة ، فجاء هذا المؤلف كاملاً من جميع الوجوه . وعليه اصبحنا ان نقتبس ، قراء الشرق ، اهم المعلومات القيمة ، ونتائج التنقيب الخطيرة المودعة في هذا السفر الجليل ، غير مهملين ما ورد في غيره من المؤلفات او النشرات العلمية الاثرية[1] .

اصل اسم « بيسان »

اسمها الحالي « بيسان » لكنه كان قديماً « بيت شان » ، ولم يتوصل العلماء حتى اليوم الى تحقيق معناه الاصلي بنوع شافٍ . لكن يحتمل كل الاحتمال ان له علاقة شديدة باسم المعبود « الحية » الذي كان يكرم في البلاد البابلية باسم « شخان او سحان » ؛ وقد ظهر من الحفريات ان الموضع كان مركزاً لعبادة « الحية » في فلسطين . وقد لفت النظر حضرة الاب فنسان الدومنيكي الى ان كلمة « شخان » اذا كتبت مقلوبة جاءت بصورة « نخش » وهو اسم الحية بالكنعانية . وقلب اسماء الآلهة عادة كانت جارية عند القدماء . والمادة (ن خ ش) تظهر دلالتها على الحية في كل تقلباتها في اللغات السامية . وقد ورد اسمها في بعض المواطن من الكتاب الكريم بصورة « بيت شيثان » وقد عُبّر عنها « ببيت السكينة » ، ووجدت في التلمود بصورة « بيشان او بيسان » ،

---

١) هذا عنوان الكتاب الذي لخصنا منه مواد هذا المقال :

Alan Rowe, *The topography and history of Beth-Shan. Phila delphia-University-Press. 1930.*

وفضلاً عن هذا ، يمكن مراجعة المصادر الآتية :

A. Legendre, (*Dic. de la Bible*) *Beibsan. T. I, c. 1738.*

Père Barrois O. P., (*Dic. de la Bible*) *supplément-Beisan.*

Père Mallon S. J., *Biblica* (*Rome*) *de 1922 à 1929.*

Père Abel O. P., *Revue Biblique, 1912, p 409 ss.*

Père Vincent O. P., *op. cit. de 1922 à 1926.*

Père Dhorme O. P., *op. cit. 1927.*

Père Barrois O. P., *op. cit. 1929.*

وبهذه الطريقة نقلت من صورتها القديمة « بيت شان » الى صورتها الحالية العربية « بيسان » .

بيسان الحالية ، واشهر المدن الشرقية

بيسان اليوم بلدة واقعة في شمالي فلسطين ، في نهاية وادي يزرعيل شرقاً . وقد كانت منذ القديم ممرًا للمسافرين بين البحر المتوسط ونهر الاردن .

البلدة الحالية منتشرة على قسم عظيم من المدينة القديمة ؛ وهي واقعة على الضفة الغربية من نهر جالود الجاري شرقي الاردن . تقرب مساحة املاكها من ٢٦,٠٠٠ دونم . وقد بلغ عدد سكانها ، في الاحصاء الاخير ، زهاء ٢٠٠٠ ، منهم ١٧٠٠ مسلم ، و ٢٥٠ مسيحيًا ، و ٤٠ يهوديًا .

والبلدة مركز المنطقة الحاوية ٢٦ ناحية . واغلب سكانها اليوم من نابلس والناصرة ، وبعضهم من مصر والسودان وسورية وعطة السكة الحديدية في بيسان واقعة على خط دمشق — حيفا . وبقعة الناحية كلها في غاية الانخفاض عن سطح البحر المتوسط .

من آثار ابنية المدينة القديمة اخربة عديدة منها الميدان (لسباق الخيل) وهو حوض اهليلجي ، قليل العمق ، فيه ثلاثة صفوف من الدرجات نحو الجنوب ؛ على قرب مستنقع متكوّن من المياه الصادرة من العيون ، وحواليه غابة قصب . وعلى مسافة قصيرة آثار هيكلين .

ومن اخربتها نحو جنوب المدينة القديمة « المسرح » وهو من عمل الرومانيين ، مركب من نصف دائرة ، يُرى فيها آثار المدرّجات الباقية . وقطر دائرته نحو ٦٠ مترًا . وفي الجهة الشمالية المقابلة لنهر جالود مقبرة بيسان ، اكبر مقابر فلسطين القديمة . وقد وجد فيها نماذج قبور من كل العصور : من عصر البرونز الى العصر البيزنطي . وغربي بيسان ، ولاسيما نحو الشمال ، بقايا السور الحجري الذي كان يحيط قديماً بالمدينة . وفي الشمال الشرقي منها مسجد بُني سنة ١٤٠١ ، على بقايا كنيسة بيزنطية . وكان فيها في سابق العهد كنيس لليهود ، الّا انه

لم يوجد له اثر حتى اليوم . ونحو الشمال الشرقي من محطة السكة الحديدية واقع « الخان الاحمر » وهو اليوم خربة ، وكان قد بُني سنة ١٣٠٨ .

اما الاثر الاهم ، في بيسان ، فهو التلّ العظيم المدعو « تلّ الحصن » القائم بين القرية الحالية ونهر جالود . وفي هذا التلّ آثار حصون او قلع متعددة ، شيّدت الواحدة على اخربة الاخرى ، على توالي الاحقاب ، منذ اقدم الازمان الى العصر العربي .

وهذا التل ، الذي هو موقع المدينة القديمة ، اتخذته البعثة ميداناً لحفرياتها التي لا تزال تواصلها . والى الآن قد توصلت الى كشف تسع طبقات ، كل طبقة حاوية آثار مدينة او قلعة . قاعدة اوطئها زهاء ١٣ متراً ، تحت قمة التلّ . وعلوّ التلّ اليوم ، من جهة الشمال ، نحو ٦٥ متراً ؛ ومن جهة الغرب نحو ٤١ متراً . وقاعدة التل نحو ٢٧٤ متراً على طول المنطقة . ويجري نهر جالود قرب التلّ ، وهو يسيل نحو ١٨٦ متراً تحت سطح البحر ، ونحو ٨٠ متراً تحت قمة التل .

طبقات القلع او المدن

في « تل الحصن »

لم تتمكن البعثة بعد من كشف التلّ باجمه . وعليه فالنتائج التاريخية الكاملة لا تتجلى بوضوح تامّ الّا بعد اتمام الحفريات . الا ان ما اكتشف من التلّ الى الآن يدلّ دلالة كافية على ما كانت عليه من الخطورة هذه المدينة الفلسطينية .

وقد عُدّدت الطبقات ، بدءاً من علوّ التلّ الى اسفله . فالطبقة الاولى هي الاحدث عهداً ، والطبقة التاسعة هي الاقدم . ولم يكشف من الطبقات كشفاً شاملاً ، الا الطبقة الاولى .

ودونك بياناً فيه خلاصة تاريخ الطبقات التسع :

طبقات المدن او القلع في التل	الصور التاريخية الدالة عليها كل طبقة	التاريخ
الطبقة التاسعة	عصر توحتمس الثالث (وجد فيه هيكل كنعاني مخصص لعبادة الاله ميكال رب بيسان . ويحتمل ان هناك هيكلاً لشريكته)	١٥٠١–١٤٤٧ق.م.
الطبقة الثامنة	العصر السابق امنوفس الثالث	١٤٤٧–١٤١٢
الطبقة السابعة	عصر امنوفس الثالث (هيكل كنعاني ، واثر معبد صغير ، غربي الهيكل)	١٤١١–١٣١٤
الطبقة السادسة	عصر سيتي الاول (طبقتان : طبقة سيتي المتأخرة وطبقة سيتي المتقدمة) (هيكل كنعاني)	١٣١٣–١٢٩٢
الطبقة الخامسة	عصر رعمسيس الثاني (هيكلان كنعانيان : الجنوبي للاله « ريشيف » هيكل داجون المذكور في (ايام الاول ١٠ : ١٠) الشمالي للالهة عشتيت (بيت عشتروت الوارد في (١ صموئيل ٣١ : ١٠) وكلاهما بقيا مستعملين الى ازمنة الاسرائيليين المتأخرة اي سنة ١٠٠٠)	١٢٩٢–١٢٢٥
الطبقة الرابعة	عصر رعمسيس المتأخر — العصور : الفلسطيني ، الاسرائيلي ، الاشوري ، البشيتي ، البابلي الحديث ، الفارسي القديم الخ.	١٢٢٤–٣٠٢
الطبقة الثالثة	العصر اليوناني ، اليهودي ، الروماني (هيكل يوناني)	٣٠٢ ق.م–٣٢٩ ب.م
الطبقة الثانية	العصر البيزنطي (اي الروماني الشرقي المسيحي) (كنيسة مدورة)	٣٣٠–٦٣٦ ب.م.
الطبقة الاولى	العصر العربي ، الصليبي الخ (جامع)	٦٣٦– القرن ١٩

بعد هذا البيان الذي وضعه المؤلف ، نبسط ، تتميماً للفائدة ، بيانه الثاني ، وفيه تُرى مقابلة هذه الطبقات بالصور الاثرية في فلسطين.

الصور الاثرية الفلسطينية	طبقات تل الحصن في بيسان
١ العصر الحجري	
ا الحجري القديم . . .	
ب الحجري الحديث . . .	
٢ العصر البرونزي	
ا الكنعاني المتقدم الى ٢٠٠٠ ق.م. . . .	
ب الكنعاني المتوسط ٢٠٠٠—١٦٠٠ . . .	
ت الكنعاني المتأخر ١٦٠٠—١٢٠٠	الطبقات: ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥
٣ العصر الحديدي	
ا الفلسطيني القديم: ١ الفلسطيني ، ٢ الاسرائيلي: من ١٢٠٠—٦٠٠	القسم المتقدم من الطبقة الرابعة.
ب الفلسطيني المتوسط: ١ اليهودي ، ٢ اليوناني من ٦٠٠—١٠٠٠ ق.م.	القسم المتأخر من الطبقة الرابعة والقسم المتقدم من الطبقة الثالثة.
ت الفلسطيني المتأخر: ١ الروماني ، ٢ البيزنطي ١٠٠ ق.م—٦٣٦ ب.م	القسم المتأخر من الطبقة الثالثة والطبقة الثانية.
٤ العصر الحديث	
ا العربي المتقدم ٦٣٦—١١٠٠ ب.م ب العربي المتوسط ١١٠٠—١٥٠٠ ت العربي المتأخر ١٥٠٠— اليوم	الطبقة الاولى

قبل عصر توحتمس الثالث

يرقى وجود السكان ، في منطقة بيسان ، الى العصر الكنعاني المتوسط ، اي بين ٢٠٠٠ و ١٦٠٠ . وذلك في المقبرة التي اكتشف فيها على قبور متعددة ، كل منها متوقف على حجرة مدوّرة ، تحت الارض . يؤدي اليها مدخل ضيق ، وهي مغطاة بحجر كبير . والظاهر ان الاجسام كانت تلقى فيها دون وجهة خاصة ، او نظام معين . وقد وجد بجانب الجثث شيء من الاسرجة الفخارية الكنعانية وغيرها ، لكن لا شيء من الحلى او الزينة ، مما دلّ على ان السكان ، في ذاك الطور ، كانوا ذوي مدنية اولية . واما الاوعية الاخرى التي وجدت في بيسان فترقى الى عصر الهكسوس . ذاك القوم الاسيوي السامي الذي دخل مصر سنة ١٦٧٥ ، وقد احتلّ ايضاً سورية وفلسطين . بيد ان احموس الاول طردهم من مصر (١٥٨٠–١٥٥٧) وقضى على حكمهم توحتمس الثالث (١٤٦٩) حين كسر جمعاً من القبائل الكنعانية والسوريّة في مدينة مجدّو .

الطبقة التاسعة : عصر توحتمس الثالث

وبعد كسرة الشاتو في مجدّو ، يحتمل ان توحتمس الثالث ارسل جيشاً احتلّ بيسان ، كما يظهر ذلك من قائمة الكرنك الحياوية اسماء البلاد التي استولى عليها . وقد وجد من الجعلان المنقوش عليها اسم الملك في عدة مواطن من طبقات التلّ . وفي القسم الذي حفر فيه طبقة توحتمس الثالث ، اكتشف على بناءين يظهر جلياً ان احدهما هيكل كنعاني . وكلاهما مبنيان باللبن . والجنوبي اوسع الاثنين ، وهو مخصص لاله المحلّ المدعو « ميكال » سيد بيسان . والآخر لقرينته . وقد وقعوا في احدى غرف الهيكل الشمالي على اناء من خزف منقوش على خارجه بنقش نائيّ ، صورة «حية» متمنعة . وهو عظيم الخطورة لدلالته على ان عبادة الاله « الحية » التي كانت منتشرة هناك في عصر الملوك المصريين المتأخرين ، قد كانت متبعة منذ عصر توحتمس الثالث . ومن شكل صور الحيّات ذات الصدر الانثوي التي وجدت في التلّ يستدلّ على ان

المعبود كان حية انثى . ولربما كان الاله المعبود في هيكل توحتمس بصورة حية . ونصب « ميكال » خطير جداً ، لانه يوحي الينا اسم الاله المحلي الذي ذكر لاول مرة في التأريخ ، فضلاً عن انه يقدم لنا شخصاً للاله عينه .

ويمثل عن النفوذ المصري في بيسان ، زمن توحتمس الثالث ، ذلك التأثير الذي اصله من البحر المتوسط . وقد ازهر هناك حتى العصر الفلسطيني . وهناك ايضاً بعض الاثر للنفوذ الاشوري الحثي ، لكن لا يعرف بالتحقيق ايّاً كان مداها .

الطبقة الثامنة : العصر السابق امنوفس الثالث

عصر هذه الطبقة متوسط بين عصر توحتمس الثالث وعصر امنوفس الثالث ، مؤسس الطبقة السابقة ، الذي رقي العرش في مصر ٣٦ سنة بعد موت الملك الاول . فهذه الطبقة تمثل امنوفس الثالث (١٤٤٧—١٤٢٠) خليفة توحتمس الثالث وتوحتمس الرابع . وما عدا خاتماً باسم امنوفس الثاني وجد في المقبرة الشرقية ، لم يجدوا شيئاً مرتوماً من عهد هذا الملك في بيسان . لكن وجد جُعَل جميل عليه اسم توحتمس الرابع . وهذا ما سهّل تعيين تاريخ هذه الطبقة .

على ان آثار الابنية قليلة في الطبقة الثامنة . واما الاشياء الموجودة فيها فمنها غرض يخص العبادة ، بشكل صفيحة ، مع صورة حية نائتة حواليه . ثم رؤوس تماثيل آلهة من فخار ، وصور سبع من خزف ، وجعلان فيها اسم توحتمس الثالث ، واختام واسطوانات . واكثر هذه الاغراض من الطرز السوري الحثي . واسنان وعظام حمار وقرون غزلان الخ .

(للبحث صلة)